

المتحفان البريطاني والعراقي

استعادة لعلاقات العمل المشترك

لندن-كارين دابروفسكي

يستعد فريق من العاملين في مجال صيانة الآثار الذي أُلّفه المتحف البريطاني للسفر إلى العراق قريبا للمساعدة في صيانة المئات من قطع الآثار التي تعرضت للتخريب خلال عمليات النهب التي تلت الحرب الأخيرة. ولكن المشكلة الأمنية هي الأكثر إلحاحا على قضية الآثار، مثل غيرها من مشاريع الإعمار في العراق. وأن مجريات الواقع قد تغير الكثير من الخطط. ◀



آثار بابل.
Babylon.



Al-Akhidhir.

حصن الأخضر.

ويضم الفريق أعضاء من المتحف البريطاني، المتروبوليتان في نيويورك، المتحف القومي في برلين، الهرميتج في سانت بطرسبرغ وربما اللوفر أيضا. وذلك للعمل على صيانة القطع المدمرة ومساعدة العاملين العراقيين في المتحف. وسيرسل صندوق الآثار العالمية خبراء لتثمين المباني التي تحتاج إلى صيانة. وسيذهب الفريق قريبا بصحبة ثلاثة نساء عراقيات تدرين في قسم الصيانة بالمتحف البريطاني.

وقد بدأت أعمال الصيانة بداية حسنة، حيث حرمت الأمم المتحدة التجارة بالآثار العراقية في نص بيان رفعها للحضرة المفروض سابقا على العراق. كما أن الحكومة البريطانية قد طرحت لائحة تجعل من الصعب التجارة بآثار البلاد غير المستقرة. وكذلك يتعاون جميع الذين يشتغلون بتجارة الآثار لمقاومة التجارة بآثار العراق. ولكن مأساة نهب الآثار من المواقع الأثرية العراقية ما تزال مستمرة.

تبدو أم العقرب وكأنها قد تعرضت لقصص شامل من قبل طائرات ب-52. ولسفافة نحو 10 أميال مربعة حفر اللصوص وخربوا التراث العراقي الذي لا يقدر بثمن. والمواقع الأثرية في الجنوب، خصوصا تلك التي في الناصرية، قد نهبت بشكل واسع. وقد وضع الأمريكان حراسا حول نينوى والحضر ولكن بعد أن عاث الناهيون خرابا في المنطقة. وأما بابل وأور فقد كانا قريبين من الجيش فيقبا سالمين.

وقد قامت سلطة الاحتلال المؤقتة بتدريب بعض حراس الآثار ولكن المهمة شاقة ومعقدة. هناك نحو 3500 موقعا في العراق و1300 حارسا. وبعضهم مستخدم في أكثر من موقع. "وعندما يتواجه ←

250 قطعة هربت إلى سويسرا، وبضع مئات في الأردن. وبعد إعادة كل هذه القطع، سيبقى المفقود من الآثار نحو 7-8 آلاف.

وقد أصيب العاملون في المتحف بصدمة كبيرة حينما علموا بأن بعض اللصوص المتخصصين كانوا بين الناهيين. وقد استهدفوا قطعها بحسب طلب جامعي الآثار الأجانب. وهم يتهمون الأمريكيين بعدم حماية الآثار. ووصف دوني جورج مدير الأبحاث في المتحف العراقي كيف أن أحد العاملين في المتحف توجه إلى دابة أمريكية وطلب من الجنود أن يقفوا في مدخل المتحف. وقد قالوا له أن ليس بحوزتهم أوامر لتحريك الدابة مسافة 50-60 مترا. وكان ذلك كافيا لأن يوفر الحماية لبعض التراث الإنساني.

وقد تم إلحاق الضرر بكل مجمع المتحف الذي يشمل مديرية الآثار، مختبرات المتحف والمخازن. بحيث إن الأمر يتطلب صيانة واسعة. لم تتم حتى وصول أجهزة بريطانية في شهر آذار/ مارس هذا العام.

"لقد تطلب أمر إصلاح المتحف فترة امتدت من البدء بعمليات النهب وحتى الآن". كما أخبرت السياحة الإسلامية سارة كولنز مديرة قسم الشرق الأدنى القديم في المتحف البريطاني. وقد عملت كولنز في المجمع في صيف العام الماضي في أعمال الصيانة. ويحتاج المبنى إلى إصلاحات شاملة، وكل التجهيزات، وبضمنها الكومبيوترات، قد سرقت. ومختبرات الصيانة تحتاج إلى أجهزة جديدة. ويحتاج الأمر إلى وقت طويل لأنه من الصعب إيصال الأجهزة إلى العراق حيث لا توجد رحلات جوية إلى العراق.

ويقوم المتحف البريطاني حاليا بتنظيم فريق للصيانة.

لقد جرت أعمال نهب رهيبية في أعقاب سقوط بغداد في التاسع من نيسان/ أبريل 2003. وقد كتب روبرت فيسك، المراسل الصحفي المتخصص بشؤون الشرق الأوسط، عقب زيارته للمتحف العراقي: "إن الآلاف من قطع الآثار مرمية على الأرض. وهي إرث العراق وتاريخه القديم. ومضى الناهيون من رف إلى رف، وهم يسلبون، بصورة منظمة، التماثيل والأواني والأعمدة الآشورية والبابلية والسومرية والميدية والفارسية واليونانية. ورميها بقوة على الأرض الإسمنتية. ولم يحصل هذا الأمر إلا في حالة تهديم حركة طالبان لتمانيل بوذا في باميان والقطع الأثرية في متحف كابول. وربما لم يحصل ذلك منذ الحرب العالمية الثانية أو ما قبلها. من حيث تخطيط هذه الكنوز الكبيرة، وتخويلها إلى هشيم وفق خطة منظمة وتصميم مسبق".

وحسب اعتقاد الدكتور نوال علي، مديرة المتحف العراقي، فإن عشر الكنوز الأثرية العراقية قد تم نهبها. وتشمل المنهوبات أسد مرود، وهو تمثال من العاج يمثل أسدا يهاجم رجلا نوبيا، وقد تم صنع التمثال حوالي عام 850 قبل الميلاد. وكذلك 11 تمثالا ورأس تمثال تعود إلى الفترة الرومانية من مدينة الحضر. وتمثال هرمس من نينوى. وتمثال نحاسي لرجل جالس يعود إلى فترة الملك ناران-سن الأكدي من عام 2250 قبل الميلاد. وقد أعيد نحو 40 قطعة ذات سمعة عالمية حتى الآن. وهي تشمل: مزهية الوركاء، وقطعة سومرية على غاية الدقة في صناعتها مطعمة بقطع بارزة تعود إلى عام 3100 قبل الميلاد. ومن بين 14 ألف قطعة لم يتم إرجاعها إلى المتحف، صادرت السلطات في أمريكا نحو 1000 قطعة، وعثر في باريس على 500 منها، ونحو



زقورة آشور.

Assyrian Zaqqurat.



Sarah Collins with Dr. Kamil.

سارة كولنز مع د. كامل.

أنظار العالم إلى ما تعرض له التراث العراقي من خراب. "ولم يقع ضغط مائل على الحكومة للتحرك. وكانت هناك ردود فعل سريعة على ما جرى. ولكن المتحف البريطاني كان دائما يقدم خطة بعيدة المدى. لدينا تجربة طويلة من العمل في العراق وسوف نستمر في تقديم الدعم للمتحف الوطني العراقي والمشاريع الأخرى".

ولا توجد حلول سريعة أو حلول في الحال. وإنه من السابق لأوانه التفكير في اكتشافات جديدة. ولا يستطيع المتحف العراقي استلام قطع أثرية جديدة. كما أنه من غير المحتمل أن يفتح أبوابه للزوار قبل مرور فترة طويلة.

"رما بالإمكان فتح جناح واحد أو اثنين لمصلحة طلاب المدارس. ولكن في الواقع أنه لا يوجد أمان كاف لعرض الآثار مرة ثانية". كما تقول كولنز. "وعلى المتحف أن يشتغل بقضية صيانة الآثار المعادة والعناية بها".

وهي تعتقد بأن هناك فرصا كبيرة لسياحة الآثار في المستقبل. "لا يرغب الآثاريون في تجمهر الناس حولهم في مواقع التنقيب. أن هذا ما يضر بقضية التنقيب. وإن قضية حماية المواقع الأثرية وإدارة الشؤون التراثية سوف تصبح من الأمور الكبيرة. وينبغي أن يطور الموقع الأثري. وأن يحمى وأن يدار بشكل يجعل زيارته أمرا متعا ومفيدا". كما تؤكد كولنز.

وهي تلح على أن العراقيين "يعملون بجد لإعادة الأمور إلى نصابها. وهناك الكثير من الأمور الجيدة التي تجري الآن ولكن لا يوجد تعريف عام بها".

يستطيع أحد منع لوح عنكم". لقد جمع بانبيال 25 ألف لوح مسماري محفوظ الآن في المتحف البريطاني. وفي عام 2002 اتصلت وزارة التعليم العالي العراقية بالمتحف للتعاون في مجال بناء مركز للأشوريات في العراق. ووافق المتحف على تزويد العراق بنسخ مائتة لنحو ألف لوح وقام بجرد أهم الآثار المناسبة لهذا الغرض. وقد وافقت الحكومة العراقية المؤقتة على بناء المركز وسوف يتم عرض القطع بعد إنشاء المركز. وكذلك يقوم المتحف البريطاني بجمع الكتب لتزويد المتحف العراقي بها.

وشددت كولنز القول أن الإعلام أبدى تركيزا قويا على الآثار بعد عمليات النهب التي تعرض لها المتحف العراقي ومواقع الآثار العراقية. ما عمل على لفت

حارس يحرس موقعا كبيرا مع لصوص مسلحين. فهناك القليل ما يقدر عليه. "كما قالت كولنز. "وبالإمكان طرد اللصوص بواسطة الهليكوبتر. ولكنهم سيعودون في اليوم التالي. نحن بحاجة إلى حل بعيد المدى للمشكلة. من حيث توفير التدريب الكافي للحراس. السيارات. السلاح. والاتصالات عبر الراديو". والأوليات تعطى للصيانة وحراسة المواقع الأثرية. ولكن المتحف البريطاني يولي اهتماما مكتبة آشوربانبيال في الموصل. وفي واحدة من رسائله الغارقة في القدم. يعطي الملك الأشوري بانبيال أوامره "للبحث عن الألواح الطينية المهمة في أرشيفكم والتي هي ليست موجودة في بلاد آشور وإرسالها إلي. لقد كتبت إلى المسؤولين والولاة فلا